التَّوْجِيهُ البَيَانِيُّ للتَّشَابُهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ الآيَاتِ المُتَشَابِهَاتِ وفِي الآيَاتِ الجَامِعَاتِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ.

Rhetorical Aspect of Pseudo- Homonyms in the Externally Similar and Inclusive Ayats of the Holy Qur›an

الدّكتور نصر الدّين وهّابي

أستاذُ النّحو العربيِّ وأصولِه، وأستاذُ اللغة والدِّرَاسَاتِ القُرْآنيّة

كُلِّيَّةُ الآدابِ واللُّغَات /جامعةُ الوادي / الجزائر.

Dr.Nasraldeen Wahabi , Prof.of Arabic Syntax and its origin, and Language and Qura›nic Studies at College of Arts and Languages, Alwadi University, Algeria

ملخص البحث

التَّشَابُهُ اللَّفْظِيُّ هو ما يُطْلَقُ على التَّقَارُبِ النُّطْقِيِّ بين آيِ القُرْآن الكريم؛ فلا يَفْرُقُ بينها غيرُ صورةٍ من صور الذِّكر والحذف، أو التَّقْديم والتَّأخير، أو وضعِ لفظٍ موضعَ لفظٍ، أو غيرُ ذلك، وإنَّهُ لَكثيرٌ جدًّا في القُرآن الكريم، كثيرٌ إلى الحدِّ الذي جَعَلَ غيرَ واحدٍ من العلماء يخصُّه بالتَّأْليف، ففي أيدي النَّاسِ، اليومَ، كتبٌ فيه كثيرة. والتَّوْجيهُ البَيَانيُّ هو استفراغُ الجهد في الكشف عن المُقْتَضَى البلاغيِّ الذي يُفَسِّرُ ذلك العُدُولَ المَلْحُوظ ضِمْن كلِّ صورةٍ ممَّا تقدَّم، أو هو ما كان يُعَبَّرُ عنه بالتَّنْكِيتِ البلاغيِّ، تأسيساً على أنَّ ذلك ما كان إلاَّ لِنُكْتَةٍ بلاغيةٍ، ولطيفةٍ بيانيّة.

وكما أَمْكَن إدراجُ كلِّ آيتينِ تشابهتا مع الافتراق بلفظين مُتَرادِفين، ضمن الآيات المُتَشَابهات، أَمْكَنَ، بالمِثْلِ، جَعْلُ كلِّ آيةٍ جَمَعَتْ بينهما، على انْفِرَادِها، ضمن مُسَمَّى «الآيات الجامعات»، فَمِنَ المُتَشَابِهَاتِ قولُه تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا)، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَهَا)، في القصِّ عَنْ سَيِّدِنا موسى، عليه السّلام، ومن الجامعات قولُه تعالى: (قَالُوا إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا)، وإنَّ مِثْلَ هذا وشِبْهَهُ لَكَثيرٌ جدًّا في القرآن الكريم، وإنَّ النَّظرَ فيه على أساسٍ من المَنْهج العِلْميِّ لَيَقُوم بُرْهاناً على عَبْقريّةِ هذه اللغة العربيّة، عربيّة القرآن الكريم.

وقد أَوْمَأْنا بهذا التَّمْثِيل الذي قَدَّمْنا إلى ما سنجعلُه موضوعاً لبحثنا، فقد جاء العُلَماءُ، في التَّفْريق بين (أتى) و (جاء)، في التّعْبير القرآنيِّ، بما يضيقُ عَنْ إيرادِهِ مُفَصَّلاً هذا المَقَام، ولكنَّ ما نحن بسبيله هو الاجتهادُ في الكشف عن الوجه البيانيِّ الكامِنِ ضمن العُدُول عن أَحَدِهِمَا إلى الآخر، مِنْ بعد اطِّرَاحِنا لِمَا أَتَى به أولئك العلماءُ تأسيساً على وَسْمِهِ بالتَّمَحُّل، ولَيِّ النُّصُوص عن مُرادها، وعدم القيام على منهجٍ قويمٍ يُراعي، في توجيهها، المعنى، لا اللفظ، ويأخذ، في الكشف عن تنكيتها البلاغيِّ من سبيل المَدْلُولِ، لا من سبيل الدّالّ.

ثمّ إنّ هذه خطّة لاشتغالنا على المَوْضُوع:

مدخل: التَّشَابُهُ اللفظيُّ وصُوَرُه.

أوّلاً: التَّشَابُهُ بالمُتَرادِف ومَسَائِلُه.

أ/ مفهومه. بـ/ تحليل مفهومِ التَّرَادف.

ثانِياً: الإتيانُ والمجيءُ في القُرآن الكريم.

أ/ آراءُ العلماء. بـ/ رَأْيُ البَاحِث. جـ/ تطبيقُهُ على الآياتِ المُتَشَابهات.

د/ تطبيقُهُ على الآياتِ الجامعات.

خاتمةٌ ونَتَائِج.

.

.

Abstract

A Pseudo- Homonym is a verbal similarity between Qur'an Ayats which are not different except in the spelling , or preposing and postposing, or the sounds , etc. This phenomenon occurs much in the Qur'an to the extent that more than one scholar published about it, so many books in this subject can be found today in the hands of people.

Rhetorical control is explained as, exerting the effort in the detection of appropriate rhetorical implications. This explains the remarkable change within each image, or what is expressed by a rhetoric witty remark , based on whether this is done for certain rhetorical point or oratorical delicacy.

It is possible include separately two similar Ayats ,which differ in synonymous units under the name "externally Similar Ayats". It is also possible to include these units together within the same Ayats, under the name, "inclusive Ayats". An example of the externally similar Ayats is the Almighty's saying in the storytelling about Musa (peace be upon him),

-"When he came to it"

" falamãạ ạảtāhā "

-" And when he came near it" " falamãạ jāʾahā "

An example of the inclusive Ayats is the following :

- (Fir'aun) said: "If indeed thou hast come with a Sign, show it forth" ,

" Qaluạ ạiṇ kuṅta jĭta biậyaẗin fă̆ti bihā "

There are various examples in the Holy Qu'ran that, when the basis of the scientific approach is taken into consideration, proves the genius of the Arabic language (Arabicism of the Holy Quran).

The aforementioned explanation directs us to what we chose as the topic of the research. Scholars have given many examples of the distinction between " ạảtā " and "jāʾa" (he came), in Qur'anic expressions , (which cannot be mentioned in detail here). What we seek is to discover the potential rhetorical

aspect which stands behind the choice of one of them and not the other. We reviewed the scholars who based their ideas on an unsound approach which includes the sound and not the meaning . We intend to find out the rhetorical purpose based on meaning rather than the form.

The following is the procedure of the topic.

- Introduction : homonyms and its types

1.Synonymous homonyms and its aspects

a.The concept of synonymy

b.Analysis of the concept of synonymy

2. Iảtian", and "Majāʾ" in the Qur'an

a. Scholars' viewpoints

b. Researcher's viewpoints

c. Application on Unspecific similar Ayats

d. Application on inclusive Ayats

- Results and conclusions

.

مدخل: التَّشَابُهُ اللّفْظِيُّ وصُوَرُه:

التَّشَابُهُ اللّفْظيُّ في القرآن الكريم، هو: ((**الآياتُ التي تَكَرَّرتْ في القرآن الكريم, في القِصَّةِ الوَاحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته, في ألفاظٍ مُتَشابهة, وصُوَرٍ متعدّدة، وفواصلَ شتّى, وأساليبَ متنوّعة, تقديماً وتأخيراً, وذِكْراً وحذفاً, وتعريفاً وتنكيراً, وإفْراداً وجمعاً, وايجازاً وإطناباً, وإبدالَ حرفٍ بحرفٍ آخر, وكلمةٍ بكلمةٍ أخرى, ونحو ذلك، ومع اتِّفَاقِ المعنى، لغرضٍ بلاغيٍّ, أو معنى دقيقٍ يُرَادُ تقديرُه**)) [١].

وحَصَرَهُ السُّيوطيُّ في القَصَص, وجاء بأمثلةٍ لاختلاف صُوَره، على نحو ما ورد في التّعريف المتقدّم [٢]، وأفاد الزّركشيُّ أنّ الحكمةَ منه الإعجازُ عن الإتيان بمثلِ القرآن، من جميع تلك الطُّرُق [٣].

وهذه الطّرق هي صُوَرُه, وصوره كالآتي:

- الاختلافُ في اختيار الصّيغة.
- الاختلافُ في الإفراد والجمع.
- الاختلافُ في التّذكير والتّأنيث.
- الاختلافُ في التّعريف والتّنكير.
- الاختلافُ في الحروف.
- الاختلافُ في الذِّكْر والحذف.
- الاختلافُ في التّقديم والتّأخير.
- الاختلافُ في الفصل والوصل [٤].

أوَّلا : التَّشَابُهُ بالمُتَرادِف ومسائِلُه:

أ – مَفْهُومُه:

وهو من مشمولاتِ بابِ التّشابه اللَّفْظيّ في الكلمة المفردة, رغم أنّ الدّكتور صالح الشثري لم يُورِدْهُ ضمن دراسته تلك, ومعناه أنْ تتكرّر الآية، ويُعْدَلَ في تكرارها عن لفظٍ، و يُؤْتَى بمرادفٍ له؛ ذلك من نحو قوله تعالى: ﴿ ولئن رُدِدْتُ إلى ربي ﴾[٥]، وقوله: ﴿ لئن رُجِعْتُ إلى ربي﴾[٦]، وقوله:﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [٧]، وقوله:﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم﴾[٨].

ولعلَّ الدّكتور الشثري لَمْ يَعْرِضْ له لِمَا رآه من تشعُّب القول فيه؛ فإنّ الكلام في المترادف يطول.

بـ تَحْليل مفهوم التّرادف:

لا يتّسِعُ المقامُ لتفاصيل المسألة؛ فقد جعلوا لها كتبا [٩], وإنمّا جَعَلْنا هذا المبحثَ الفرعيَّ لِنَكْشِفَ عن المنهج العلميِّ الذي ارتضيناه للنّظر فيها؛ ذلك هو ما يُسَمَّى بالتَّحْليل السِّيميّ (=المَعْنَمِيّ)، أو المُكَوِّنيّ (componentiel)، وفكرتُهُ الأساسُ أنّ الكلمة قابلةٌ لِلِانْشِطَار إلى حُزْمَةٍ من الوَحَدَات المَعْنَويّة الصُّغْرَى، فكلمةُ «رجل»، مثلاً، تَقْبَلُ أنْ تُحَلَّلَ إلى أنّها: (إنسان + عاقل +ذكر + بالغ)، وكلُّ وِحْدةٍ من هذه هي مَعْنَم (=Sème).

وحين تُقَابَلُ الكلمةُ بمرادفتها يُرَى بينهما اشْتِرَاكٌ في بعض ذلك، وافتراقٌ في بعضه؛ فكلمتان من مثل: (أب) و (والد)، مثلا، يُرى فيهما على الانْفِرَاد ما يلي:

- الأب = (المُنْجِب + المباشر + الصّلاح لغير

الـمُنْجب المباشر كالجدّ + قبول المجاز).

- الولد = (الـمُنْجِب + المباشر + عدم قبول المجاز).

فيشتركان في (الـمُنْجب)، ويفترقان في (الصّلاح المباشرة).

و يفترقان في (الصّلاح لغير المباشر)= للأب.

وفي (قبول المجاز) = للأب.

وفي (المباشَرَة) فقط = للوالد.

وفي (عدم قبول المجاز)= للوالد.

ويُرَى أنّ معنمَ الإنجاب، أو التّسَبُّب في الوجود، قارٌّ في الكلمتين؛ لذا سَمْوَهُ الـمَعْنَمَ النَّوَويّ (Sème nucléaire)، وأنّ تمييز المباشَرة، من عدمها، أو السَّوْق للمجاز، من عدمه، مَوْكولٌ إلى السِّيَاق؛ فلذا سْموه المعنم السّياقيّ (Sème contextuel) ،أي أنّ النّوويّ لَصِيقٌ بالكلمة حيث حلّت من الكلام، و أنّ السّياقيّ لا يظهر إلا مع مُقْتَضاه الـمُلائم.

ويُبْنى على هذا التّقرير أنّ القائلين بالتّرادف إنّما ينظرون إلى معانم الاتّفاق، وأنّ نُفَاةَ التّرادف إنّما ينظرون إلى معانم الافْتِراق، فَبَانَ أنّه خلافٌ يقوم على اسْتِشْكال غير الـمُشْكِل [١٠].

ثَانِياً: الإتْيَانُ والمَجِيءُ في القرآن الكريم:

أ- آراءُ العُلماء:

والـمُرَاد بهذا أنْ نَنْظُرَ في التّنْكيت البَلاغيّ بين التّعبير بـ (أتى)، وما يُشْتَقُّ منه، وبين التّعبير بـ (جاء)، وما يُشْتَقُّ منه، وفي العُدُول عن أَحَدِهِما إلى الآخر:

- فقال الزّركشيّ بالتّفريق بينهما على اعْتِبَارَيْ الخفّة والثّقَل؛ ففي النُّطْق بالمجيء ثِقَل، وفي النُّطْق بالإتيان خفّة، وفَرَّعَ على هذا ما يُرَى تفصيلُهُ في بُرْهانه[١١] .

- وفرّق بينهما الرّاغب بما لا مَقْنَعَ فيه؛ لأنّه اعْتَمَدَ الاسْتِقْصَاءَ بأنْ عدّد ما ورد به كلٌّ من اللّفظين، وهو سبيلٌ للتّفريق الذي لم يَهْتَدِ إليه، وليس هو تفريقاً [١٢].

- وفرّق الكَفَويّ بما نقله عن الرّاغب [١٣].

- وفرّق العسكريُّ بجعْلِ المجيء تامّاً، لا يحتاجُ إلى الصّلة، كنحو: (جاء فلان)، وجعل الإتيانَ محتاجاً إلى الصّلة، كنحو: (أتى فلان بكذا) [١٤]، وقد ردّه المنجد باسْتِوَائهما في الاسْتِغْناء، و في الافْتِقَار بشواهد من القرآن الكريم، فأَبْطَلَ تفريقَه [١٥] .

- وفرّق الكَرْمَانيّ بين (فلمّا أتاها)[١٦] ، وبين (فلمّا جاءها)[١٧] ، بعلّة كثرة الدَّوَران، فقال: (أتاها)، في طه لكثرة ما فيها من الإتيان، وقال: (جاءها)، في النّمل، للعلّة نفسِها، وقال: (أتاها)، في القصص، لقُرْبها من طه [١٨].

وهو تفريقٌ لا يقومُ على شيء؛ إذْ من الممكن السُّؤَالُ عن سِرِّ دَوَرَان الإتيان، تحديداً، في هذه، ودوران المجيء، تحديداً، في الأخرى، وقربُ السُّوَرِ من بعضها لم نَرَ مَنْ علّل به في شيء، سوى ما في فنِّ المناسبات، ثم إنّ سورة القصص أَقْرَبُ إلى النّمل من طه، بل هي جارتها تلاوة، وقد وَهِمَ هنا الكرمانيّ والـمُنْجد [١٩].

- وفرّق بينهما الدّكتور فاضل السّامرّائيُّ بما يَقْرُب من تفريق الزّركشي، فقال بالسّهولة واليُسْر فيما يكون له الإتيان، وبالمشقّة والصّعوبة فيما يكون له المجيء[٢٠] ، وإلى مثل هذا ذهب الدّكتور محمود موسى حمدان في كتابٍ له عقده للمسألة [٢١].

- وسوّى أربابُ المعاجم، والمفسِّرون بين اللَّفْظَيْن

كابن منظور[٢٢] ، وكالجوهريّ [٢٣]، وكالألوسيّ، فالمفرِّقُون بين مجتهدٍ في طلب معنى سِياقيٍّ (=ذاتي)، وبين مُسْتَقْصٍ لكافّة سياقات استعمالها، ولم يُفْلح الأوّلون بعدم تحقّق المعنى الذّاتيّ في كلّ سياقٍ، إلا بِلَيٍّ، وتَعَسُّف، وبالمثل الآخرون؛ لأنّ استقصاءَ السِّياقات والموضوعات الوارد فيها اللّفظان، هو سبيلٌ لبلوغ المعنى الذّاتي، أي هو السّبيل لتحصيل الفارق، وليس هو الفارق، والمُسَاوُون بينهما مُعْتَبِرون للوظيفة التّفسيريّة، فهم شُرَّاحُ لغة، فرَاعَوْا المعنى المشترك بينهما فلا جُناح عليهم.

ب- رَأْيُ الباحث:

اسْتَقْصى الباحثُ مواضعَ الإتيان، وكذا المجيء، وأمْعن النَّظَر في جامعِ ما ورد بالإتيان، وكذا ما ورد بالمجيء، فاهْتَدى إلى ما يلي:

يُقال (أتى) لِمَا يكون فَوْرِيّاً، أو أُرِيد له الفَوْر؛ وذلك في كلّ واحدٍ مما يلي:

أوّلاً: المجيء:

ولا يقترن إلا بما يكون حصوله في زمن، يطول أم يقصر، وذلك على هذا البيان.

- يتلبس المجيء في القرآن الكريم بما يأتي :

أ- **بُلوغُ الأجل**: وذلك لأنّ الموت هو انقضاء زمن العمر، والعمر مما يتراخى ويتطاول، ويخرج عليه مثل قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

وغيره، وخلاصته : كل مقام أريد فيه إلى بلوغ الأجل استعمل فيه المجيء.

ب- **قيام الساعة** : وذلك لأن الساعة هي انقضاء زمن الدنيا، وهي كذلك للتراخي والتطاول، ويخرج مثل قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ .

وغير ذلك، وخلاصته : كل مقام أريد فيه إلى قيام الساعة استعمل فيه المجيء.

جـ- **الدعوة والرسل والرسالات** : وذلك لأنه لا دعوة ولا رسالة إلا في زمن، يطول أم يقصر، فالدعوة إذن مما يتراخى ويتطاول، ويخرج مثل قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى ﴾ .

وغير ذلك، وخلاصته: كل مقام قصد فيه إلى الحديث عن الدعوة والرسل والرسالات، وذلك يتراخى ويتطاول، أوثر فيه استعمال المجيء.

د- **التنقل والحركة في المكان** : وذلك لاقتضائه الزمن ليصح حصوله فيه، فهو، من ثم، يتراخى، ويخرج مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ .

وهو كثير، وخلاصته : كل مقام قُصد فيه إلى التنقل والحركة أوثر فيه التعبير بالمجيء.

فهذه أربعة محاور تدل على أحداث تتلبس بالمجيء إذ لا تقع إلا في زمن يحتويها، يطول أم يقصر، كما سبق.

ثانياً: الإتيان:

ويقترن بمحاور وسياقات لا يرى فيها استغراق زمن، إنما يقصد فيها إلى معنى الفور، وهي :

أ. التّأثير في النفس: وذلك لقصد الإسراع إلى صنع

استجابتها، ويكون ترغيبا وترهيبا وتسكينا وتسلية، ومنه قوله تعالى :

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (النحل: ٠١).

وغير ذلك، وملخصه : كل سياق تضمن تأثيرا في النفس بالترغيب أو الترهيب أو التسلية أوثر في الإتيان.

بـ. مَقَامُ الإِنْعام والإفْضَال: وذلك لأنه يستحب فيهما الفور قصدا إلى الكمال فيهما، ومنه قوله تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه:).

وغيره كثير، وملخّصه: كل سياق أريد فيه إلى الإنعام والإفضال وما إليهما حسن التعبير فيه بالإتيان.

جـ . مقام الحرص، والحثّ، والتّعجيل، والتَّحَدّي: وذلك ظاهر معنى الفورية فيه، ومنه قوله تعالى :

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (الشعراء:).

وغيره مما يدخل في معناه، وملخصه: كل ما كان من قبيل التحريص والتعجيل والتحدي وغيره أوثر معه التعبير بالإتيان.

د. مقامُ العَدَم، والزّوال، والاِنْقِضَاء : وذلك لأن معنى الانقضاء هو انتفاء التطاول والتراخي، ومنه قوله تعالى :

﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ (الأعراف:).

وغيره مما يدخل في معنى من المعاني التي ينعدم فيها الزمن ويزول.

فكل ما جاء في القرآن من الإتيان داخل في مقام من الأربعة مما يقصد فيه إلى الفور، وعدم التطاول في الزمن، لوجه من الوجوه كما سبق.

وبه يمكن الرجوع بكل ما في القرآن الكريم، من مجيء وإتيان، إلى فارق الزمن على وجهي التراخي والفور، بالاندراج ضمن محور من محاورهما، وهو تخريج يصون هذين الفعلين من كثير من التمحل الذي وقع فيه السامرائي والمنجد، وغيرهما.

وعلى أساس من إعمال الفارق الزمني يمكن تخريج طائفتين من الآيات القرآنية:

الأُولى: الآياتُ المُتَشابهات: وهي التي تفترق بالتعبير بـ (جاء) في آية، وبـ (أتى) في أخرى، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، وقوله :﴿ إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

فـ (أتى) في الآية الأولى يدخل في محور العدم والزوال والانقضاء لأنه من شأن يوم البعث.

و(جاء) في الآية الثانية يدخل في محور الدعوة وإرسال الرسل، لأنه من شان إبراهيم مع قومه في هذه الحياة الدنيا.

ومنه قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءهَا ﴾ ، من قصة سيدنا موسى في النمل، وقوله :﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا ﴾، من قصته في القصص وطه، فالمجيء داخل في محور التنقل لأنه مضى إلى النار يطلب مراده منها، والإتيان داخل في العجلة لأنه حريص على الرجوع إلى أهله بما به يصطلون، واختلف التعبير في الآيتين لتحصيل المعنيين معا، فإنه لا تدافع بينهما بل إن المحصل بجمعهما أنه كان من موسى تنقل إلى النار حثيث، كأنه يقول بهما جمعا : (فلما تنقل إلى النار مسرعا)، وهو عين ما حدث في القصة، كما أوثر

في المواضع كلها من هذا المشهد القصصي قول موسى لأهله (آتيكم) في طه و(آتيكم) في القصص، و(آتيكم) و(سآتيكم) معا في النمل، لدخول ذلك كله في محور التأثير في النفس بالتسكين، فإن موسى يخبر أهله أنه عائد إليهم فورا، تسكينا ودفعا لخوف محتمل.

ومنه ما جاء في قوله تعالى في سورة الذاريات من قصة إبراهيم مع الملائكة :﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾، وفي سورة هود :﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾، والحنيذ المشوي، فيكون الجمع بين الموضعين أنه عليه السلام جاء بعجل سمين مشوي.

وأما قوله تعالى :﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ، وقوله : قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

فإنه لما كان الأول إخبارا عن حال أوثر معه التعبير بـ (جاءتهم الساعة) لدخوله في محور قيام الساعة بعد انقضاء فترة الحياة الدنيا، ولما كان الثاني تخويفا وترهيبا عبر بـ (أتتكم الساعة) لدخوله في محور التأثير في النفس.

الثَّانية: الآياتُ الجامعات:

وهي التي تجمع بين الفعلين، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، فيدخل (جاءهم) في محور الدعوة وإرسال الرسل ويدخل (يأت) في محور العدم والزوال لأن آباءهم زالوا.

وقوله تعالى :﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا ﴾، فعبر بـ (تأتيهم) لدخوله في محور التأثير في النفس بإنذارها بقيام الساعة، وعبر بـ (جاء) لأن الأشراط تظهر بتطاول الزمن، وتعرف بالدعوة والرسالات.

وأما قوله تعالى :﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ﴾، فقوله (أتت) محمول على معنى عجلتها وحرصها على الرجوع بمولودها إلى أهلها، وقوله : (جئت) محمول على البعد المجازي، أي أنّهم رأوا ما تقول لهم مريم بعيدا تصديقه.

ت- تَطبيقُ رَأْيِ الباحث على الآيات المتشابهات:

١- قال الله تعالى، في القصص: (فلما أتاها)، وصفاً لذهابه بالفوريّة؛ أي بالعجلة، تصويراً لحرص موسى على الرُّجُوع لأهله سريعاً.

وقال في النّمل (فما جاءها)، وصفاً لمكان النّار بالبعد المُقْتَضي للتّنقّل إلى حيث لا يطّلع أهلُه على أمره مع ربّه.

وهو قال في الموضعين: (آتيكم)، على لسان موسى لأهله اختياراً للّفظ المُوحِي بالفوريّة تَسْلِية.

ويَلْزم هنا اعتمادُ منهج (الجمع البياني)[٢٤] ؛ أي بين إتيان القصص، ومجيء النّمل، بأنْ يُقال: إنّه قال بالموضعين بالقَصّ عن الحادثة الواحدة: فلمّا ابتعد موسى عن أهله مسرعاً، فالابتعادُ لاعتبارِ تخصيصه بأمر ربّه، والإسراعُ تسليةً لأهله.

٢- وقال تعالى في الشّعراء:﴿ إلا من أتى الله بقلب

سليم ﴾[٢٥] لأنّه مجيءُ الدّعوة إلى الله، وذلك تمييزاً عن ذي القلب غير السّليم؛ فالكلامُ عن يوم يُبعثون، ومن شأن ذي القلب السّليم الحرصُ على لقاء ربّه إسراعاً إلى الجزاء الكريم.

وقال تعالى في الصّافّات:

﴿ إذا جاء ربّه بقلب سليم ﴾[٢٦]؛لأنّه مجيءُ الدّعوة إلى الله، وذلك يتراخى ويطول؛ لذا فصّله بالقصّة بعده.

وفيه تنكيتٌ داعمٌ من حيث اقترانُ الإتيان بالألوهيّة، واقترانُ المجيء بالرّبوبيّة؛ فالإتيانُ ليوم يبعثون، يوم اليقين بأنْ لا إله إلا الله وحده، والمجيءُ دعوةٌ في قومه، بتأييدٍ من ربّه ونُصْرة، والله هو المعبود دون سواه، والرّبُّ هو المانع الحافظ [٢٧].

ث- تطبيقُ رَأْي الباحث على الآيات الجامعات:

• قال تعالى:﴿ قالوا إن جئت بآية فأت بها ﴾[٢٨]؛ أي: إن كنت نبيّاً مُرْسَلاً جئت بدعوة[٢٩] ، فعَجِّل بما يؤيّد ذلك[٣٠] ، فأراد بالمجيء إلى معنى الدّعوة، ومعلومٌ أنّ اللّفظ لِمَا أريد منه، وأراد بالإتيان إلى معنى التّحدّي بالاستعجال.

• وقال : قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا [٣١]، فجعلوا القَبْلِيَّةَ إِتْيَاناً؛ لِزَوَال الشُّعُور بالتَّرَاخي؛ لانقطاعه بالانقضاء، وجعلوا البَعْدِيَّة مجيئاً؛ لأنّهم لا يزالون في حال الدّعوة وتراخيها.

• وقال : يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني [٣٢]، والعلمُ هنا النُّبُوّة؛ لأنّه علمٌ إلهيّ [٣٣]، والنُّبُوّة دعوة، والدّعوة تَتَراخَى؛ لأنّها نَظَر، فقال (جاءني)، والنَّظَرُ حَظّ [٣٤]، والحظّ إنْعام، فقال: (يأتك).

• وقال﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون﴾[٣٥]، فالعذاب مُؤَجَّل ليوم القيامة، فجعل له المجيء[٣٦] ، ثم لـمّا قصد إلى التّهديد بالفوريّة، والبغتة، استأنف بالإتيان، فقال: (وليأتينهم)[٣٧] .

• وقال:﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾، المرادُ بالـمَثَلِ سُؤال التّحدّي[٣٨] ، وهو أَدْخَلُ في الحرص على التّعجيز، فكان له الإتيان، وحُسْنُ التّفسير يتراخى، فكان له المجيء، و مرادُهُم بمثلهم نزول القرآن دفعةً واحدة، وهو فورٌ، والمراد بحسن التّفسير التّنْجيم، وهو التّراخي في الزمن؛ فإنّه نزل في ثلاثةٍ وعشرين عاماً.

خاتمةٌ ونتائج:

إنّ التّعبير بالإتيان غيرُ التّعبير بالمجيء في عربيّة القرآن الكريم، وإنْ بَدَا اسْتِوَاؤُهما في غيرها، والقولُ بالتّنويع اللّفظيّ تعبيرٌ عن عدم دَرْك النُّكْتة البلاغيّة للعُدول عن أحدهما إلى الآخر؛ لأنّ الأصلَ أنْ يكون كلُّ لفظٍ في المكان الذي لا يصلح له الآخر، وفي هذا المعنى قال الخطيب الإسكافيّ: « إذا أَوْرَدَ الحكيمُ، تَقَدَّسَتْ أسماؤُهُ، آيةً على لفظةٍ مخصوصةٍ، ثمّ أَعَادَها في موضعٍ آخر من القرآن، وقد غَيَّرَ فيها لفظةً عمّا كانت عليه في الأولى، فلا بُدَّ مِنْ حكمةٍ هناك تُطْلَب، فإذا أَدْرَكْتُمُوها فقد ظَفِرْتُم، وإنْ لم تُدْرِكُوها فليس لأنّه لا حكمةَ هناك، بلْ جَهِلْتُمْ) [٣٩].

والنّكتة البلاغيّة ينبغي لها أن تكون على معنى واحدٍ بسيطٍ لا يتعدّد، لذا؛ فالتّعليل باستقصاء المواضع لا

يستقيم، إنّما بما يجمع بين تلك المواضع.

كما يجب، في التّفريق، أنْ يَصْدُق على كلِّ مَوْضعٍ ورد فيه اللّفظ، إلاّ أنْ يَخْرُجَ الموضعُ نفسُهُ عن الباب باعتبارٍ مما هو في مُقَرَّرات قواعد اللّغة، وقوانينِها، وسُنَنِها، كالتَّضْمين وشُرُوطه، وكالمجاز ووجوهه، وغير ذلك.

إنّ التّوجيه البيانيّ للمتشابه اللّفظيّ هو ممّا لا يَكتَمِلُ تحصيلُ التَّنْكيت فيه إلاّ بإعْمالِ منهج «الجمع البياني» الذي معناه وَصْلُ ما بين كلّ موضعين متشابهين، على وجه تعزيز أحدهما للآخر، أو على وجه تمييز أحدهما عن الآخر.

إنّ الإتيانَ فورٌ، وإنّ المجيء تراخٍ، فإنْ وَرَدَ الشَّيْءُ الواحدُ بالإتيان في موضع، وبالمجيء في آخر، فليس يعني إبطالَ أنْ يَصْلُح لهما فارقٌ بِدَعْوَى تعارض الموضعين، إنّما هو على معنى ما أريد له في كل موضعٍ من الموضعين، فمجيءُ موسى على تراخيه، في النّمل، غيرُ مُنْتَقِضٍ بإتيانه على الفور، في القصص، إنّما هو في النّمل باعتبارِ الابتعاد عن الأهل، وهو يَتَرَاخى، وهو في القصص باعتبار تَسْلية الأهل بالتَّعْجِيل في الرُّجُوع، وهو فَوْرِيّ.

إنّ ربطَ الإتيان بالفور، وربطَ المجيء بالتّراخي، قادرٌ على الهَدْيِ إلى النُّكْتة البلاغيّة من التعبير بهما حيث جُعِلا من سبيل النّظر في المتشابهات، ومن سبيل النّظر في الجامعات كذلك، وصِدْقُ التّعليل في الجامعات يجعله، أَوْلى بالاعتبار في المتشابهات؛ لإمْعَانِه في الخفاء عند التَّلاقي في الموضع الواحد.

الهوامش

١- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية .د .صالح بن عبد الله الشّثري, ص: ٠٤.

٢- الاتقان في علوم القرآن الكريم،٣ /٢٧٦.

٣- البرهان في علوم القرآن, ١ /١١٣.

٤- ينظر كل ذلك مُفصّلاً في: المتشابه اللّفظيّ في القرآن الكريم، و أسراره البلاغيّة، د. صالح بن عبد الله الشّثري, ص: ١٢٩.

٥- الكهف :٣٦.

٦- فصلت :٥٠.

٧- الشعراء:٨٩.

٨- الصافات:٨٤.

٩- ينظر مثلا : التّرادف في القرآن الكريم ،بين النّظرية والتّطبيق ،لمحمّد نور الدين المنجد ،والتّرادف في اللّغة، لحاكم مالك الزّيادي ، وغيرهم كثير.

١٠- ينظر هذا مفصّلاً في: السّيميائيات وتحليلها لظاهرة التّرادف في اللغة والتفسير. د. محمد إقبال عروي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، العدد :٠٣ ، ١٩٩٦ ص :١٨٩.

١١- البرهان في علوم القرآن، ٤/٨٠ .

١٢- معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص : ٠٤ و ص :١٠٢ .

١٣- الكليات ، ٢٨ . ص: ٢٩٧ .

١٤- الفروق في اللغة ، ص: ٣٠٥

١٥- الترادف في القرآن الكريم ، : ١٤٥

١٦- طه :١١ والقصص :٣٠

١٧- النمل :٠٨

١٨- البرهان في علوم القرآن، ٣/٤٥.

١٩-الترادف في القرآن الكريم ، ص :١٤٧

٢٠- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص:

٢١- الإتيان والمجيء فقه دلالاتهما واستعمالهما في القرآن الكريم ، ص:١٥.

٢٢- لسان العرب ، ١ / ٦٨

٢٣- الصحاح ، ص : ٢٨

٢٤- والجمع البياني منهج يقوم على اعتبار أن التنويع اللفظي في المتشابهات إثراء للمعاني وتوسيع ،بأن يكون كل موضع منها موصولا بشيء على وجه تعزيزه بمزيد دلالة و إعلام ، أو على وجه تمييزه عنه لسبب ،وقد دعونا إلى اعتماد هذا المنهج ببحث سميناه «الجمع البياني بين الآيات المتشابهات المباني « ضمن أشغال الندوة الدولية : «الخطاب القرآني : البنية والفهم والاستنباط « المنعقد بفاس المغربية بتاريخ ١٩. ٢٠ نوفمبر ٢٠١٣

٢٥- الشعراء :٨٩ .

٢٦- الصّافّات: ٨٤.

٢٧- يُنْظر مُفَصَّلاً في : الحجاج في القرآن الكريم ، د. عبد الله صولة ، ص:٩١.

٢٨- الأعراف : ١٠٦.

٢٩- روح المعاني للألوسي ، م٥-٩ /٢٨.

٣٠- روح المعاني للألوسي ، م٥-٩ /٢٨.

٣١- الأعراف : ١٢٩.

٣٢- مريم : ٤٣.

٣٣- روح المعاني ،م ٨ -١٦ /٥٧٩.

٣٤- روح المعاني ،م ٨ -١٦ /٥٧٩.

٣٥- العنكبوت : ٥٣.

٣٦- روح المعاني ، م ١١ – ٢١ /١٤.

٣٧- روح المعاني ، م ١١ – ٢١ /١٤.

٣٨- روح المعاني م١٠ – ١٩ /٢٢.

٣٩- درة التنزيل وغرة التأويل : ص ٠٧.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.

٢- الإتيان والمجيء فقه دلالاتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، د. محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٩٩٨.

٣- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢.

٤- الترادف في القرآن الكريم، بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، سوريا، ودار الفكر العربي المعاصر، لبنان، ٢٠٠١.

٥- الترادف في اللغة، لحاكم مالك الزيادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

٦- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، دار الفارابي، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧.

٧- درّة التنزيل وغرّة التأويل، للخطيب الإسكافي، اعتنى به الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط١، ٢٠٠٢.

٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل الألوسي، تحقيق: د. السيد محمد السيد، وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥.

٩- الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٠.

١٠- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط٢، ٢٠١١.

١١- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).

١٢- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي،

١٣- السيميائيات ودورها في تحليل ظاهرة الترادف في اللغة والقرآن، د. محمد إقبال عروي، مجلة الفكر العربي المعاصر،